(مدرسة رمضان) الإخلاص

نعيش في هذا الشهر موسم عظيم في التجارة مع الله الكل يتسابق للفوز في هذه التجارة.

من راقب نفسه في رمضان وجد أن هذه المدرسة تؤثر فيه جدا فالخير يزداد فيك ظاهرا وباطنا والشر يقل كذلك بفضل الله ومنته.

تعالوا بنا نستعرض معنا عملا من الأعمال التي تنمو داخل قلوبنا وقد تزرع في قلوب البعض داخل هذه الشهر .

إنه الإخلاص لله ومراقبته في السر والعلن.

روى الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعمِائَة ضِعْفٍ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي "

وقال القرطبي رحمه الله: لما كانت الأعمال يدخلها الرياء، والصوم لا يطَّلع عليه بمجرد فعله إلا الله، فأضافه الله إلى نفسه، ولهذا قال في الحديث" :يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي"؛ اهـ.

@ صور من الإخلاص في الصوم:

زين القراء محمد بن واسع رحمه الله قال عنه محمد بن بهرام :كان محمد بن واسع يصوم الدهر يخفي ذلك؛ (تهذيب الحلية: ٢/ ٣٥١).

عمرو بن قيس الملائي أقام عشرين سنة صائمًا، ما يعلم به أهله، يأخذ غداءه ويغدو إلى الحانوت - الدكان - فيتصدق بغذائه، ويصوم وأهله لا يدرون، وكان إذا حضرته الرقة، يُحول وجهه إلى الحائط، ويقول لجلسائه: ما أشد الزكام "...... حتى لا يرى أحد دموعه"؛ (صفوة الصفوة: ٣/ ١٢٤).

وها هو داود بن أبي هند رحمه الله صام أربعين سنة لا يعلم به أهله ولا أحدٌ، وكان خزازًا، يحمل معه غداءه من عندهم، فيتصدق في الطريق، ويرجع عشيًّا، فيُفطر معهم، فيظن أهل السوق أنه قد أكل في البيت، ويظن أهله أنه قد أكل في السوق"؛ (صفة الصفوة: ٣/ ٣٠٠).

ولذلك قال السلف من سابه أو شاتمه أحد فليقل بلسان حاله لا بلسان مقاله أني امرؤ صائم في التطوع.

إذن أنت في شهر رمضان تحقق في نفسك حتى بدون أن تشعر عبادة عظيمة من العبادات القلبية وهي الإخلاص

فتعالوا بنا نتعرف على هذه العبادة نحاول فهمها حتى ننميها بعد رمضان.

@ **حقيقة الإخلاص**: هو أن يريد العبد بعمله التقرب إلى الله تعالى وحده.

فهو صرف العمل والتقرّب به إلى الله وحده، لا رياءً ولا سمعةً، ولا طلبًا للعَرَض الزائل، ولا تصنّعًا، وإنما يرجو ثواب الله، ويخشى عقابه، ويطمع في رضاه.

الأدلة:

قال تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ}

{وَما أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكاةَ وَذلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} (٥)

الأحاديث الواردة في ذمّ (الرياء)

(عن أبي موسى الأشعريّ- رضي الله عنه- أنّ رجلا أعرابيّا أتى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقال: يا رسول الله، الرّجل يقاتل للمغنم، والرّجل يقاتل ليذكر، والرّجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله ؟فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قاتل لتكون كلمة الله أعلى فهو في سبيل الله»)

(عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «قال الله تعالى: أنا أغنى الشّركاء عن الشّرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»)

عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: خرج علينا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ونحن نتذاكر المسيح الدجال، فقال: (ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟) فقلنا: بلى يا رسول الله. قال: (الشرك الخفي، أن يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر الرجل) .

-* (عن ابن عبّاس- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من سمّع سمّع الله به، ومن يرائي يرائي الله به»)

المراد: من قصد بعمله أن يسمعه الناس ويروه ليعظّموه وتعلو منزلته عندهم، حصل له ما قصد، وكان ذلك جزاؤه على عمله، ولا يثاب عليه في الآخرة ولكن يشهّر الله به ويفضحه ويظهر ما كان يبطنه.

من الآثار وأقوال العلماء والمفسرين الواردة في ذمّ (الرياء)

-* (أتى أبو أمامة الباهليّ- رضي الله عنه- على رجل في المسجد وهو ساجد يبكي ويدعو، فقال: أنت أنت! لو كان هذا في بيتك) *.

-* (رأى عمر بن الخطّاب- رضي الله عنه- رجلا يطأطىء رقبته فقال: يا صاحب الرّقبة، ارفع رقبتك، ليس الخشوع في الرّقاب، إنّما الخشوع في القلوب)

(قال عليّ بن أبي طالب- رضي الله عنه-: للمرائي ثلاث علامات، يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان في النّاس، ويزيد في العمل إذا أثني عليه، وينقص إذا ذمّ)

كان أبو وائل (شقيق ابن سلمة) إذا صلّى في بيته ينشج نشيجا، ولو جعلت له الدّنيا على أن يفعله وواحد يراه، ما فعله)

حكم الرياء:

ذكر الذّهبيّ الرّياء ضمن الكبائر، وذكر أدلّة ذلك من الكتاب والسّنّة وآثار السّلف الصّالح، وعدّه ابن حجر الكبيرة الثّانية بعد الشّرك بالله، وقال:شهد بتحريمه الكتاب والسّنّة وانعقد عليه إجماع الأمّة.

المعنى في تحريمه وكونه كبيرة وشركا مقتضيا للّعن أنّ فيه تضييع لحق الله وجرأة على حدوده وظلم لنفسه، ومن ثمّ كان الرّياء من كبائر الكبائر المهلكة ولذلك سمّاه الرّسول صلّى الله عليه وسلّم: «الشّرك الأصغر» ، وفي الرّياء أيضا تلبيس على الخلق لإيهام المرائي لهم أنّه مخلص مطيع لله تعالى وهو بخلاف ذلك.

أنواع الرياء: خمسة أقسام وهي جوامع ما يتزين به العبد للناس:

١. الرياء بالبدن: ويكون بإظهار النحول والصفار ليوهم بذلك شدة الاجتهاد في العبادة، وعظم الحزن على أمر الدين، وغلبة خوف الآخرة، قال الربيع بن خثيم: لا يغرنك كثرة ثناء الناس من نفسك فإنه خالص إليك عملك. وقال يحيى بن معاذ: لا تجعل الزهد حرفتك لتكتسب به الدنيا ولكن اجعله عبادتك لتنال الآخرة وإذا شكرك أبناء الدنيا ومدحوك فاصرف أمرهم على الخرافات.

٢. الرياء بالهيئة والزى: بتشعيث شعر الرأس وإطراق الرأس في المشي والهدوء في الحركة وإبقاء أثر السجود على الوجه وتحري لبس الثياب الخشنة أو لبس المرقعات فأحد القضاة دخل عليه رجل

ليشهد في قضية فقال له القاضي أنت فلان واعظ بني فلان قال نعم فرده ليدخل عليه مرة أخرى فلما رأه تباطأ في مشيته علم من أنه يراءي بهيئته فرد شهادته.

٣. الرياء بالقول: كرياء أهل الدين بالوعظ والتذكير والنطق بالحكمة وحفظ الأخبار لاستعمالها في المحاورة وإظهارا لغزارة العلم وتحريك الشفتين بالذكر في محضر الناس وإظهار الغضب للمنكرات والأسف على مقارفة الناس للمعاصي، وفي ذلك يقول مطرف رحمة الله عليه: إن أقبح ما طلبت به الدنيا عمل الآخرة.

٤. الرياء بالعمل كمراءاة المصلي بطول القيام والركوع والسجود وكذلك بالصوم والغزو والحج والصدقة.

٥. الرياء بالأصحاب والزائرين كالذي يتكلف أن يستزير عالما أو عابدا ليقال إن فلانا قد زار فلانا وكالذي يكثر زيارة الشيوخ ليرى أنه لقي شيوخا كثيرة واستفاد منهم ويتباهى بشيوخه عند المخاصمة.

<u>كيفية التخلص من الرياء:</u>

على الراغب في التخلص من الرياء أن يسلك هذه السبل في علاج نفسه منه ، ومن ذلك :

١. استحضار مراقبة الله تعالى للعبد .

وهي منزلة " الإحسان " التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل ، وهي " أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه ، فإنه يراك " . رواه مسلم (٩٧) .

فمن استشعر رقابة الله له في أعماله يهون في نظره كل أحد، ويوجب له ذلك التعظيم والمهابة لله تعالى .

٢. الاستعانة بالله تعالى على التخلص من الرياء

قال الله تعالى عن المؤمنين إياك نعبد وإياك نستعين [الفاتحة ٥] ، ومن الأشياء التي تنفع في هذا الباب الاستعانة بالله في دعائه ، قال صلى الله عليه وسلم : "أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل فقال له من شاء الله أن يقول :وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله ؟ قال قولوا اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئا نعلمه ونستغفرك لما لا نعلم " . رواه أحمد (٤٠٣/٤) ، وصححه الشيخ الألباني في " صحيح الجامع " (٣٧٣١) .

٣. معرفة آثار الرياء وأحكامه الأخروية .

حيث أن الجهل بذلك يؤدي إلى الوقوع أو التمادي فيه ، فليعلم أن الرياء مُحبط للأعمال ، وموجب لسخط الله ، والعاقل لا يتعب نفسه بأعمال لا يكون له أجر عليها ، فكيف إذا كانت توجب سخط الله وغضبه .

ومن أعظم الأحاديث في عقوبة المرائين في الآخرة ما أخبرنا به صلى الله عليه وسلم : " أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَنْزِلُ إِلَى الْعِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ وَكُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٌ فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ وَرَجُلٌ يَقْتَتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَرَجُلٌ كَثِيرُ الْمَالِ فَيَقُولُ اللَّهُ لِلْقَارِئِ أَلَمْ أُعَلِّمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي قَالَ بَلَى يَا رَبِّ قَالَ فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عُلِّمْتَ قَالَ كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ كَذَبْتَ وَتَقُولُ لَهُ الْمَلائِكَةُ كَذَبْتَ وَيَقُولُ اللَّهُ بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ إِنَّ فُلَانًا قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ الْمَالِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ أَلَمْ أُوَسِّعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدَعْكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ قَالَ بَلَى يَا رَبِّ قَالَ فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ قَالَ كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ كَذَبْتَ وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ كَذَبْتَ وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ فُلَانٌ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ وَيُؤْتَى بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ فِي مَاذَا قُتِلْتَ فَيَقُولُ أُمِرْتُ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ كَذَبْتَ وَتَقُولُ لَهُ الْمَلائِكَةُ كَذَبْتَ وَيَقُولُ اللَّهُ بَلْ

أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ فُلانٌ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رُكْبَتِي فَقَالَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ تُسَعَّرُ بِهِمْ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ". رواه الترمذي (٢٣٨٢) وحسّنه ، وصححه ابن حبان (٤٠٨) ، وابن خزيمة (٢٤٨٢) .

٤. النظر في عقوبة الرياء الدنيوية .

وكما أن للرياء عقوبة أخروية ، فكذلك له عقوبة دنيوية ، وهي أن يفضحه الله تعالى ، ويظهر للناس قصده السيّئ ، وهو أحد الأقوال في تفسير قوله صلى الله عليه وسلم " من سمَّع : سمَّع الله به ، ومَن راءى : راءى الله به " رواه البخاري (٦١٣٤) ومسلم (٢٩٨٦) . قال ابن حجر : قال الخطابي معناه : من عمل عملا على غير إخلاص وإنما يريد أن يراه الناس ويسمعوه جوزي على ذلك بأن يشهره الله ويفضحه ويظهر ما كان يبطنه .

وقيل : من قصد بعمله الجاه والمنزلة عند الناس ولم يرد به وجه الله فإن الله يجعله حديثا سيئا عند الناس الذين أراد نيل المنزلة عندهم ولا ثواب له في الآخرة . أ.هـ " فتح الباري " (١١ / ٣٣٦) .

٥. إخفاء العبادة وعدم إظهارها .

وكلما ابتعد الإنسان عن مواطن إظهار العبادة : كلما سَلِم عمله من الرياء ، ومن قصد مواطن اجتماع الناس : حرص الشيطان عليه أن يظهر العبادة لأجل أن يمدحوه ويُثنوا عليه .

والعبادة التي ينبغي إخفاؤها هنا هي ما لا يجب أو يُسنُّ الجهر به كقيام الليل والصدقة وما أشبههما ، وليس المقصود الأذان وصلاة الجماعة وما أشبههما مما لا يُمكن ولا يُشرع إخفاؤه .

يقول مالك بن دينار رحمه الله :

دخلت البصرة يوما فوجدت الناس قد اجتمعوا فى المسجد الكبير

يدعون الله من صلاة الظهر إلى صلاة العشاء لم يغادروا المسجد فقلت لهم مابالكم؟

فقالوا :

أمسكت السماء ماءها وجفت الأنهار-ونحن ندعوا الله ان يسقينا فدخلت معهم.

يصلون الظهر ويدعون، والعصر ويدعون، والمغرب ويدعون، والعشاء ويدعون.. ولا تمطر السماء قطره..

خرجوا ولم يستجب لهم.

يقول: ثم ذهب كل منهم إلى داره وقعدت في المسجد ولا دار لي.

فدخل رجل (اسود)..

(أفطس) اي صغير الأنف..

(أبجر) اي كبير البطن..

(عليه خرقتان) ستر عورته بواحدة وجعل الأخرى على عاتقه.

فصلى ركعتين ولم يطل..

ثم التفت يمينا ويسارا ليرى أحدا فلم يرانى..

فرفع يديه إلى القبلة وقال؛

إلهي وسيدى ومولاي ... حبست القطر عن بلادك لتؤدب عبادك ... فأسالك يااااااا حليما ذا أناه، يامن لايعرف خلقه منه إلا الجود ... ان تسقيهم الساعة الساعة الساعة..

يقول مالك فما ان وضع يديه

إلا وقد أظلمت السماء وجاءت السحب من كل مكان فامطرت كأفواه القِرب.

يقول فعجبت من الرجل

فخرج من المسجد فتبعته فظل يسير بين الأزقة والدروب حتى دخل دارا"، فما وجدت شيئا" أعلّم به الدار إلا من طين الأرض فأخذت منها وجعلت على الباب علامة..

فلما طلعت الشمس تتبعت الطرق حتى وصلت إلى العلامة فإذا هو بيت نخّاس يبيع العبيد..

فقلت ياهذا إني أريد أن أشترى من عندك عبدا..

فأرانى الطويل والقصير والوجيه

فقلت: لا لا اما عندك غير هؤلاء؟

فقال النخاس: ماعندى غير هؤلاء للبيع.

يقول مالك:

وأنا خارج من البيت وقد أيست رأيت كوخا" من خشب جوار الباب فقلت: هل في هذا الكوخ من أحد؟

فقال النخاس: من فيه لايصلح.. أنت تريد أن تشترى عبدا" ، ومن فى هذا الكوخ لايصلح.

فقلت: أراه ..!!

فأخرجه لي، فلما رأيته عرفته.

فإذا هو الرجل الذى كان يصلى بالمسجد البارحة..

قلت للنخاس: أشتريه..فأجابني: لعلك تقول غشّني الرجل..هذا لا ينفع فى شيء..هذا لايصلح في شيء.. فقلت أشتريه.. فزهد فى ثمنه واعطانى إياه..

فلما استقر بى المقام فى بيتى رفع العبد رأسه إلي وقال: ياسيدى لم اشتريتني؟

إن كنت تريد القوة فهناك من هو أقوى منى..

وإن كنت تريد الوجاهة فهناك من هو أبهى منى..

وإن كنت تريد الصنعة فهناك من هواحرف مني

فلم اشتريتني؟

قلت: يا هذا، بالأمس كان الناس فى المسجد وظلت البصرة كلها تدعو الله من الظهر إلى بعد العشاء ولم يستجب لهم..

وما إن دخلت أنت ورفعت يديك إلى السماء ودعوت الله واشترطت على الله حتى استجاب الله لك وحقق لك ما تريد!

فقال العبد: لعله غيرى؟ وما يدريك انت لعله رجل آخر؟

فقلت: بل هو أنت..

فقال العبد أعرفتني؟ فقلت نعم.

فقال: أتيقنتني؟ فقلت نعم.

فيقول مالك: فوالله ما التفت إلي بعدها،

إنما خرّ لله ساجدا" فأطال السجود، فانحنيت عليه فسمعته يقول:

(ياصاحب السر إن السر قد ظهرا --- فلا أطيق حياة بعدما اشتهرا)

ففاضت الروح الى بارئها

٦- معرفة حقيقة الدنيا وأنها لا تساوي عند الله جناح بعوضة وأن أقل أهل الجنة له مثل الدنيا وعشر أمثالها .